مقدمة

معلومات أولية عن الباراسيكولوجى

— ما هو موضوع الباراسيكولوجى ؟

— عن أخطر نتائجه .

— عن أهمية رسالته ومدى اتساع نطاقها .

— طائفة من المنظمات المعنية به .

— بين الباراسيكولوجى والسيكوترونات .

— العالم يواجه ثورة لا نظير لها فى تاريخ العلم .

— عن وضعنا المحزن فى الشرق الأوسط .

* * *

ما هو موضوع الباراسيكولوجى ؟

ليس من اليسر فى شىء تحديد نطاق واضح لأبحاث الباراسيكولوجى إلا بالقول بأنها تتضمن دراسة جميع الظواهر غير المألوفة سواء أكانت من فصيلة الظواهر العقلية أم الفيزيقية[1] .

---

(١) للمزيد راجع مؤلفنا فى « التكوين الروحى وأسرار السلوك بعد التحول من السيكولوجى إلى الباراسيكولوجى » ١٩٨٢ جـ ١ ص ١٠٦ — ١٩٩ ، جـ ص ٥٥١ — ٦٠٥ .

وقد أصبح يرمز إلى حصيلة هذه الظواهر العقلية والفيزيقية فى مجموعها — فى العديد من المراجع — برمز علمى وهو عالم الدالة وهى كلمة إغريقية أصبحت تعبر مبدئياً عما يطلق عليه « موجة الاحتمال » . وكان أول من استخدم هذا الرمز عالم الطبيعيات المعروف أروين شرودنجر **Erwin Schrodinger** .

وفى هذا الشأن يكتب تشارلز ميوز **Ch Muses** العالم فى الرياضيات والفلسفة ورئيس تحرير مجلة « دراسات فى الوعى » قائلا « إن شرودنجر كان — دون أن يدرى — يتنبأ بالاتجاه الجديد الذى ستتطور إليه العلوم فى قرننا الحالى . وربما سارت الأمور فى هذا السياق عندما استعير هذا المفهوم الجديد وألصق بعلم النفس ليرمز إلى عالم يقع خارج دائرة علم النفس : عالم الباراسيكولوجى ، عالم الدالة **Psi** .

ولكن الحق يقال إنه لا توجد علوم خارج دائرة العلم ، أو تقع على هامش العلم ، فكلها علوم ومن العلوم . أما ما يدعى « الباراسيكولوجى » أو « البارافيزياء » (أى ما وراء النفس أو ما يجاور الطبيعيات) فأسماء على غير مسميات ومع ذلك يمكن — بل هو ما يحدث بالفعل — أن يضاف إلى كل علم بعد جديد هو بعد الدالة **Psi** [1] أو البعد الوجدانى ، أو حالة الوعى الجديد . وحصيلة هذه الإضافات لابد أن تنتهى إلى نتيجة خطيرة لا تقل عن كونها نظرة جديدة وشاملة للعالم الذى نعيش فيه .

كانت الفيزياء أول علم يتجه نحو البعد الجديد (بعد ال **Psi**‾) مع أن قراءة الأفكار والتنبؤات ، والغيبيات ، و ما إليها من الحقائق الخارقة للمألوف ، وإن لم تدرج رسمياً فى سلك العلوم المعترف بها كانت كلها موضع اهتمام وملاحظة الناس منذ قرون . . .

وقد قطع علماء الأحياء والنفس نحو ثلاثين عاماً من عمرهما ، للحاق فى هذا المجال بالفيزياء وما فيها من أسس متغيرة وغير مستقرة بإدخال عامل الدالة رسمياً فى

---

(١) اختزال مصطلح عليه لكلمة باراسيكولوجى .

حساباتهما . ومن المثير للاهتمام أن الرياضة كان لها وبوعى تام بعد الدالة الخاص بها منذ أيام فيثاغورس وأفلاطون،وكان هذا البعدجزءاً لا يتجزأ منها منذ البداية . وهذا أمر طبيعى فى الرياضة التى تعكس دائماً طبيعة العقل الإنسانى وطبيعة الواقع الخارجى معاً ، وبصورة مثيرة توحى بالانسجام بل بالتطابق بين الطبيعتين .

وتحدث نيتشه عن مرحلة يتسامى فيها الإنسان فوق القيم ، وطافت أحلامه حولها . واليوم نحن نعيش فى مرحلة شبيهة بتلك تماماً ، وهى مرحلة رائعة ومؤلمة معاً ، لكنها فوق كل شىء آخر تفرض علينا التزامات وأعباء هائلة ، وتمتحن استعدادنا لاستيعاب مجالات واسعة مترامية للرؤية والبصيرة والوزن تبدو بارزة جلية . . . خاصة أن أوضاع العلم وأسسه وقواعده المقررة لم تتعرض حتى الآن لأى نقد جذرى فى العالم الغربى منذ عهد طويل ؛ منذ ما بعد عصر النهضة على الأقل .

وهكذا يحدث اليوم ما حدث فى أيام كوبر نيكوس وبرونو ، فنرى أن الأوضاع والأسس والقواعد التى ترتكز إليها العلم يعاد من جديد ترتيبها ، وتبرز الآن حاجتنا الملحة إلى علم جديد ، علم أعرض وأعمق من العلم الذى عهدناه حتى الآن ، علم قادر على أن يتلاءم مع أعمق تركيب داخلى للمادة ويتلاءم أيضاً مع أعمق وظائف العقل . . .

كما يقول ميوز « لا يزال البرهان ثابتاً ومتوافراً بكثرة ساحقة على أن وراء الأبعاد المعروفة للزمان والمكان عالماً آخر له ظواهره وطاقاته الخاصة به . وهو عالم يتفاعل طول الوقت بالعالم الطبيعى المعروف ويؤدى وظائفه بأفعال تبلغ حد البساطة . .

والآن نحن نقف على عتبة مرحلة جديدة من مراحل العلم . مرحلة تبدأ بالاعتراف بوجود البعد الجديد بعد الدالة أو الـ Psi وإمكانيات الوعى الإنسانى . وفى الماضى عرضت المؤسسات العلمية نفسها للمهانة عندما اضطرت إلى إصدار بيانات متناقضة أوقعتها فى الحرج . ففى سنة ١٨٧٨ مثلا قدمت « اللجنة العلمية البريطانية » تقريراً إلى البرلمان البريطانى عن اختراع المصباح الكهربائى قالت فيه إن الاختراع الجديد « . . غير جدير بالتفات رجال العلم أو رجال الأعمال . ومن المستحيل إدخال

النور الكهربائى فى البيوت . وأية محاولة للإقدام على هذه الفعلة هى محاولة غير مجدية تماماً لأنها تتحدى قوانين الكون . على هذا يشهد ويجمع أكبر العلماء وأبرزهم » ! ! ..

والظاهر أن قوانين الكون الحقيقية تستعصى بصورة عجيبة على أفهام أناس غير أكفاء لأداء واجبهم مهما كانوا بارزين أو مشهورين ، وذلك بسبب الانطباع الجامد الراسخ الذى استقر فى أذهانهم عن هذه القوانين وما ينبغى أن تكون عليه . وحسبنا هذا عن القيود والحوائل التى وضعت فى الماضى على الدالة ، وبعدها الجديد ، وإثبات صحتها .

وبعد فلم أتعرض فى مقالى هذا إلى أعظم مغزى للبعد الجديد على الإطلاق ، ألا وهو استقلال الوعى عن المادة ، الذى يعنى أيضاً الوجود المستقل للفرد بعد تحلل الجسد ، ولكنى أترك هذا الموضوع الواسع لمناسبة أخرى »[1] .

* * *

وهذا الموضوع الواسع وهو الوجود المستقل للفرد بعد تحلل الجسد لم يتناوله الكاتب فى مقاله بسبب اتساع نطاقه إلى مدى لا يمكن أن نتصور حدوده الآن . ولكن مقاله خطير فى كل حرف منه خصوصاً هذه العبارة وهى أن « أعظم مغزى للبعد الجديد على الإطلاق هو استقلال الوعى عن المادة » ، أو بتعبير آخر استقلال العقل عن المخ ، وهى حقيقة تستحق وقفة قصيرة هنا ، وذلك بالقدر اللازم لتفهم موقف المدارس العلمية المعاصرة من هذا الموضوع البالغ الأهمية فى الكشف عن العديد من نواحى السلوك الإنسانى ، ناهيك بإضاءة بعض جوانب قدره ومصيره ، والذى يمثل — بلا أدنى ريب — أخطر نتائج الباراسيكولوجى ، وألزمها لتطور كل المعارف الإنسانية ، رغم كل الشوط البعيد الذى قطعته حتى الآن .

---

(١) عن مجلة « العلم والمجتمع » التى يصدرها مركز مطبوعات اليونسكو عدد يونيه — أغسطس ١٩٧٥ ص ٤٦ — ٥٥ . ومما يسترعى الانتباه فى هذا العدد أنه عندما طلبت آراء كبار المشتغلين ببحث هذه الظواهر الخارقة المألوف جاءت آراؤهم كلها إيجابية ، فلم ينكر صحتها أى واحد منهم .

عن أخطر نتائج الباراسيكولوجى

نتائج هذه البحوث كلها أثبتت — كما سبقت الإشارة — انتفاء الارتباط المحتوم بين نطاق العقل والمخ ، وسيادة العقل على المخ لا العكس . وهى تشير إلى عمق ارتباط بحوث الباراسيكولوجى بأخطر الحقائق التى وصلت إليها العلوم الحديثة فى كافة جوانبها ، وبخاصة فى جوانب علوم النفس ، والحياة ، ووظائف الأعضاء فى الإنسان . وفى هذا كله ما يدعو إلى الإطمئنان إلى صحة نتائج هذه البحوث بالإضافة إلى الإطمئنان المستمد من بحث ظواهرها وتمحيصها بمعرفة علماء ثقات ، وتحت أدق سبل الرقابة العلمية لمدى قرن ونصف من الزمان .

وما ذكرناه عن ثبوت انتفاء الارتباط المحتوم بين المخ والعقل لا ينفى أن التفكير مرتبط أساساً بالمخ ، بل معناه فحسب أن المخ هو جهاز التفكير لا مصدره ، فإذا فسد الجهاز فسد — بحسب الأصل — التفكير ، ولكن ليس المخ هو مصدر التفكير . كما أن العقل لا يخضع خضوعاً محتوماً للمخ ، لأن المخ خاضع لنوعين من العوامل : أولهما تأثير العقل فيه ، وبالتالى فى وظائف الأعضاء ، وثانيهما عوامل الصحة والمرض فيه ، وهى وثيقة صلة بقوانين البيولوجيا والفسيولوجيا التى تلعب دورها الطبيعى فى صحة الجسد المادى وأمراضه وفى سلوك الإنسان وتصرفاته .

فمن المتصور فى حالات نادرة أن يظل التفكير سليماً حتى مع فساد الجهاز الذى يستخدمه لمرض عضوى فيه ، إذا عرف العقل وهو مصدر كل عاطفة وذاكرة ، كيف يتغلب بصورة من الصور — التى لا تزال مجهولة من العلم المادى — على ضعف جهازه المادى المؤقت وهو المخ .

عن أهمية رسالة الباراسيكولوجى واتساع نطاقها

فى الجملة يمكن القول باطمئنان تام بأن أبحاث الباراسيكولوجى ألقت أضواء جمة على أعماق النفس الإنسانية وملكاتها الحقيقية تتجاوز — بمراحل عديدة — تلك الأضواء التى جاءت عن طريق منهج التحليل النفسى الذى ابتكره فرويد ، رغم وفرة هذه الأخيرة ، وهذا ما نسلم له به تماماً .

كما ألقت أضواء جديدة عن مصادر العديد من الأمراض العصبية التى وقف فرويد حائراً إزاءها ، ولم يجد لها تعليلا سوى المغالاة فى تغليب عامل الكبت الجنسى على ما عداه .

وكشفت عن وجود ملكات — شعورية ولا شعورية — عند بعض الأشخاص لا تمت بصلة إلى أى مرض عصبى ، بل بالعكس لا يتمتع بها عادة إلا الأشخاص ذوو الصحة العضوية والنفسية الجيدة التى يفتقدها حتى بعض الأشخاص الأسوياء .

ومن هذه الملكات التخاطر **Telepathy** ، والجلاء والجلاء البصرى **Clairvoyance** والتنبؤات الصادقة **Precognition** ، والخضوع للهيمنة فى حالة غيبوبة تامة أو شبه غيبوبة **Trance, semi trance** والطرح الكوكبى **Astral projection** والسيكومترى **Psychometry** أى قياس الأثر الروحى ، وتأثير العقل فى المادة **Psycho-Kinesis** . وغيرها من الظواهر التى أخذت تبحث على أوسع نطاق ممكن عن طريق الباراسيكولوجى والتى يطلق عليها (فى جانبها الأساسى) ظواهر الإدراك عن غير طريق الحواس ، بالإضافة إلى ظواهر التجسدات **materialisations** التى سوف نقدم عدة نماذج منها فيما بعد[١] .

وبالتالى ألقت هذه الأبحاث المكثفة أضواء جديدة ساطعة على صلة الإنسان بنواميس الكون — هذه الصلة التى تقع فى الأساس من علم المنطق — وهى أضواء لم ترد ببال أى إنسان من قبل . وهى كفيلة وحدها بتحطيم تلك الحواجز المادية الوهمية الكائنة بين الإنسان بوصفه كائناً روحياً وبين الكون الذى يحيط بحواسه المادية .

ويستوى فى ذلك أن تكون أبحاث الباراسيكولوجى مسندة إلى هذا الفرع من العلوم أم إلى ذاك ، ما دامت تجرى على منهج علمى صحيح ، ولا يسيطر على أصحابها سوى

---

(١) وذلك فى الفصل الأخير من الباب الثانى . وهى على عدة أنواع ، وتلزم عندها وقفة كافية مقرونة بصور توضيحية قد توافرت لها ضمانات جمة .

رغبة تسجيل الحقائق فى حياد وفى حذر ، لاستنتاج نتائجها الحتمية بعد توسيع رقعة البحث إلى أوسع نطاق ممكن لاستخلاص العنصر أو العناصر الثابتة بها .

* * *

والاهتمام بالباراسيكولوجى أى بدراسة الظواهر غير المألوفة — مع محاولة تحليلها تحليلا صحيحاً عن طريق إخضاعها لأساليب التحليل المنطقى والرياضى المألوفة فى كشف مساتير الطبيعة — ليس حديثاً ، بل يمكن إرجاعه بالأقل إلى قرن ونصف مضى .

لكن هذا الاهتمام بلغ شأواً بعيداً منذ حوالى قرن ، وهو فى تزايد مستمر ، مع تطور ضخم بسبب التقدم السريع الذى لحق الأجهزة الحديثة ، وأيضاً بسبب تقدم أساليب التحليل المنطقى والرياضى تقدماً فاق كل التوقعات .

وتكشف ذلك كله عن نتائج بالغة الأهمية مرتبطة وثيق ارتباط بكل جوانب العلوم المادية والإنسانية . وعلى رأس الأولى الفيزياء والبيولوجيا والطب ، وعلى رأس الثانية النفس والفلسفة والأخلاق .

وهذه النتائج تستخدم الآن على أوسع نطاق فى تشييد معطيات جديدة لكل هذه العلوم تتميز عن معطيات الماضى البعيد أو القريب بأنها لا تعتمد فى شىء على محض الارتجال ، أو الافتراض ، أو الاعتراض . . بل تعتمد على الحقائق الوضعية للوجود كما تكشفت عنها جهود العلماء بعد لأى وطول عناء .

ولا يتأتى الآن تجاهل أية نتيجة منها إلا للتورط من جديد فى أخطاء الماضى البعيد — أو القريب وأوهامه . وتجاهل أية نتيجة منها يعادل فى فداحته أن يتجاهل طب الجراحة مثلا اكتشاف دورة الدم ، أو التخدير ، أو التعقيم ، أو أن يتجاهل الطب الباطنى اكتشاف الفيروسات أو المضادات الحيوية ، أو تأثير المئات بل الآلاف من العقاقير الحديثة الفعالة .

وهكذا الشأن أيضاً فى الطب النفسى الذى أخذ يربط نفسه ربطاً سريعاً بنتائج الباراسيكولوجى ، لأنه لا يمكنه أن يفعل غير ذلك إذا ما أراد أن ينتقل من طور الافتراضات النظرية الواهية إلى طور الحقائق الوضعية الثابتة . وهذا التحول الخطير هو العلامة المميزة لعلم النفس فى طوره الراهن ، ومعه بطبيعة الحال علم النفس الجنائى والعقابى . وعلم النفس يجب أن يكون هو العمود الفقرى فى أية محاولة لتفسير الظواهر الإجرامية ولمواجهتها إن لم يكن فى أول المطاف فبالأقل فى نهايته .

بل إن بعض الجامعات الأمريكية قد أحل أقسام الباراسيكولوجى محل أقسام السيكولوجى ، باعتبار أن دراسات علم النفس بمفهومه التقليدى قد استنفذت الآن أغراضها ، ولم تعد تجدى شيئاً فى الكشف عن أسرار سلوك الإنسان ودوافعه الحقيقية .

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث بحق كارل جوستاف يونج **Carl G. Jung** — وهو أبرز اسم فى علم النفس الحديث — قائلا : «إن الحاجة ماسة إلى الجهود الشاقة ذات الطبيعة الثورية لتحرير علم النفس من التحامل المغرض الذى يرى من جانب أن الروح ليست أكثر من ظاهرة مصاحبة لعملية كيميائية أساسية فى المخ ، أو من جانب آخر يرى أنها عملية غامضة يتعذر تماماً الوصول إليها .

إن ظواهر الباراسيكولوجى تدفعنا نحو الدقة والحذر ، لأنها تشير إلى وجود قدرة على الإدراك النسبى للزمان والمكان من خلال عوامل روحية من شأنها إلقاء الشك على تفسيرنا الساذج عن التوازن بين ما هو روحى وما هو فيزيقى . وهذا التفسير هو الدافع الذى دفع بعض الأشخاص إلى الاعتراض كلية على اكتشاف الباراسيكولوجى وذلك انطلاقاً من أسباب نظرية من جانب ، ومن الخمول الفكرى من جانب آخر . ولكن علينا أن نعتبر هذه الآراء المعترضة غير مسئولة ، حتى ولو كانت شائعة ونابعة من محض اعتراضات ذهنية غير مألوفة .

وإذا أردنا تقييم بعض هذه الظواهر لتعين علينا أن نضع فى الاعتبار سائر الظواهر الأخرى المرتبطة بها . وعلى هذا الأساس فإنه لن يكون بمقدورنا ممارسة أية سيكولوجى تتجاهل وجود اللاشعور ، أو تتجاهل الباراسيكولوجى »[1] .

* * *

وأبحاث ظواهر الباراسيكولوجى ليست هى بالضبط موضوع احتمال الخلود بمفهوم دوام الحياة بعد الموت ، لكنها تمثل المدخل العلمى اللازم إليها ، كما تمثل البيولوجيا المدخل الطبيعى إلى الطب .

ولذا كانت دراسة هذه الظواهر هى تلك التى قادت يونج هذا إلى الاقتناع بصحة دوام الحياة بعد الموت ، وصحة وجود جسد أثيرى للإنسان غير قابل للفناء أطلق عليه وصف « الإنسان السماوى » أى الروحى . كما قادت الآلاف من العلماء الكبار إلى نفس هذا الاتجاه الروحى الذى طالما تاقت إليه النفوس منذ زمن بعيد .

ونتيجة لثبوت صحة ظواهر الإدراك خارج الحواس أصبح من السائد فى دوائر الباراسيكولوجى القول بأن الإنسان الراهن لا يمثل تجسداً تاماً لكل عناصر وعيه ، أى لكل عناصر تكوينه الشعورى واللاشعورى ، بل إنه يمثل فحسب تجسداً عارضاً لجانب — يتفاوت فى مداه — من هذا الوعى الذى يعمل خلال المخ ، حين يظل باقيه خامداً — إلى مدى أو إلى آخر — لكنه يعمل خارج إطار المخ والجهاز العصبى للإنسان .

وهذا الوعى الذى يعمل خارج إطار المخ والجهاز العصبى للإنسان يحوز بذاته قدرات خامدة خارقة للمألوف للنظر عن غير طريق العين ، وللسمع عن غير طريق الاذن ، وللمس عن غير طريق اليد ، وللشم عن غير طريق الأنف ، وللذوق عن غير طريق اللسان . ولذا أطلق عليها مجتمعة وصف قدرات « للإدراك عن غير طريق الحواس » .

---

(١) عن مؤلفه « الذات التى لم تستكشف » طبعة رابعة سنة ١٩٦٩ ص ٤٣ وما بعدها .

The Undiscovered Self.

وعن هذا الطريق — وهو طريق دراسة الظواهر غير المألوفة بأساليب حديثة متطورة — نجحت العلوم الحديثة فى اكتشاف أغوار الذات ، وفتحت الباب على مصراعيه لدراسة الإنسان دراسة شاملة فى أعمق جوانبه وأوثقها اتصالا بالحقائق الوضعية للحياة ، وبما يرتبط بها من بحوث نفسية — روحية قائمة على دراسة ظواهر وضعية ثبت أنها أقرب إلى الكشف عن حقائق الحياة بكثير من مدارس الماضى التى ارتبطت أكثر مما ينبغى بدعوى مادية الحياة والوجود .

طائفة من المنظمات المعنية به

ومن أهم المنظمات الدولية الحديثة لبحوث الباراسيكولوجى « جمعية الباراسيكولوجى » **The parapschological Association** وهى جمعية دولية أسست فى سنة ١٩٥٧ لكى تعقد مؤتمرات عامة لتبادل الرأى فى هذه الموضوعات . وعضويتها غير مفتوحة للجمهور .

وقد ضمت هذه الجمعية منذ سنة ١٩٦٩ إلى المجمع العلمى الأمريكى « الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم »[١] التى استوجبت ألا تضم هذه الجمعية إلا أرفع مستوى من الباحثين . ويعتبر تنظيم هذه الجمعية وأسلوبها العلمى الصارم ، ومنهجها الدقيق الناقد من أحسن المعالم لتحول البيئات العلمية نحو المزيد من الاهتمام بالظواهر غير المألوفة ، ومن التعاطف معها ومع نتائجها .

وهى تصدر مضابط منتظمة[٢] ، ومقرها مشترك مع « مؤسسة البحث فى طبيعة الانسان »[٣] التابعة لجامعة ديوك **Duke** بكارولينا الشمالية **North Carolina** بالولايات المتحدة .

---

(١) American Association for the Advancvement of Science.

(٢) Proceedings of the Parapsychological Association.

(٣) Foundation for Research on the Nature of Man.

وإلى جانبيهما توجد « مؤسسة البحث الروحى »[١] وهى متخصصة فى تحقيق الظواهر غير المألوفة ، وتصدر نشرة ربع سنوية اسمها Theta وهى أيضاً من أهم المنظمات ذات السمعة الدولية .

وكذلك من هذه المنظمات العامة « مؤسسة الباراسيكولوجى »[٢] ولها نشاط متواصل فى هذه الموضوعات وتصدر مجلة منتظمة نصف شهرية[٣] . وتوجد الآن أعداد متزايدة من المجلات الدورية المنتظمة التى تعالج شتى موضوعات الباراسيكولوجى وبوجه خاص موضوعات الإدراك عن غير طريق الحواس من زواياها المختلفة .

وعلى أية حال فإن أبحاث الباراسيكولوجى تجرى الآن فى كل مكان فى العالم على قدم وساق ، واعترفت بها شتى الدول رسمياً مما دفعها إلى فتح المراكز المتخصصة ، وعقد المؤتمرات الدولية بها من آن إلى آخر ، بل لقد دخلت مناهج الباراسيكولوجى الآن إلى أكثر من مائتى جامعة فى أوربا وفى الأمريكيتين ! ! (فانظر وتأمل) .

ونفس الأبحاث تجرى الآن على قدم وساق حتى فى الهند ، وفى اليابان ، وفى غيرهما من البلاد الأسيوية ، ذات الأنظمة السياسية ، والاقتصادية المتباينة ، ولذا فقد ورد فى تقرير « للمعهد البرازيلى لبحوث علم النفس الطبيعية البيولوجية » I.B.P.P. « أننا نتراسل — دائماً وبانتظام — مع الباحثين فى ستة وعشرين من أقطار العالم فى الأمريكتين وأوربا وآسيا . . ونحن نؤمن بقوة أنه بالتعاون الدولى الوثيق وحده يستطيع الباراسيكولوجى كأى علم آخر أن يأخذ مكاناً يمكن أن يعتبر فيه مفيداً نافعاً ، بل

---

(١) Psychical Research Foundation.
وعنوانها : Duke Station, Durham, North Carolina 27708.
(٢) Parapsychology Foundation.
(٣) Parapsychology Review.
وعنوانها : 29 West 57th street, New York, 10019.

أساسياً بدلا من أن يكون ممتعاً فقط . . . فلنتعاون جميعاً لنساعد على تحقيق هذه القوانين التى بقيت مختفية طويلا فى عناد »[١] .

ويقول مدير هذا المعهد — فى نفس التقرير — إن لمعهده « اتصالات وثيقة — سواء شخصية أم بالمراسلة — مع أمريكا الشمالية والجنوبية ، والاتحاد السوفيتى ، وتشيكوسلوفاكيا ، والهند وغيرها » .

فهذه المعاهد اعتادت أن تتراسل فيما بينها وتتبادل التقارير الإيجابية عندما تكون جديرة بالتبادل . وقول مدير المعهد فى تقريره الآنف الإشارة إليه إنه يتبادل التقارير مع الباحثين فى معاهد ست وعشرين دولة ليس معناه أن عدد هذه المعاهد المعنيـة بالباراسيكولوجى لا يتجاوز هذا القدر ، بل إنه يتجاوزه بكثير ، وهو فى تزايد مستمر خصوصاً منذ نصف قرن . حيث دخلت أبحاث الباراسيكولوجى إلى غالبية جامعات الخارج ، ناهيك بالمعاهد المتخصصة التى تحمل أسماء شتى .

بين الباراسيكولوجى والسيكوترونات

بعد أن قطع العلم مرحلة متقدمة فى دراسة الظواهر غير المألوفة بكافة أنواعها بوصف أنها « باراسيكولوجى » أى ما وراء النفس بدأ نفر من الباحثين يوجه نقداً إلى هذه التسمية التى أصبحوا يعتبرونها قاصرة وضيقة الأفق بلا داع ، وأحلوا محلها فى بعض دوائر العلم وصف « السيكوترونات » .

وفى تعليل هذا التحول يقول زدنيك رجداك **Zdenck Rejdak** وهو عالم ظل طوال عشرين عاماً يعمل فى مجال السيكوترونات وكتب فيها أكثر من مائة مقال ، كما ألف كتاباً مستقلا عن « التخاطر والجلاء البصرى » (١٩٧٠) — « غنى عن البيان أنه فى العصر الذى يتقدم فيه العلم بخطوات جبارة يصبح القول بمنهج مشترك بين الهيئات

---

(١) عن مجلة « العلم والمجتمع » التى تصدر عن منظمة اليونسكو — وهى إدارة ثقافية تابعة لهيئة الأمم المتحدة عدد يونيو — أغسطس ١٩٧٥ صفحة ١٢٦ . وهى الطبعة العربية لمجلة « التأثير » **Impact** .

العلمية المختلفة مسألة أساسية لبحث الظواهر السيكوترونية . ذلك لأن هذا المنهج هو السبيل الوحيد لإنقاذنا مما نراه اليوم سائداً من تخمينات وريب وشكوك وخلافات . . .

وبات واضحاً أنه لم تعد ثمة حاجة للاحتفاظ بمصطلح « الباراسيكولوجى » . ذلك لأنه فشل فى أن يعكس لنا الطابع المبحثى المتعدد لهذا المجال ، بل فشل أيضاً فى أن يكشف عن وجود عنصر الطاقة الذى لا يمكن بدونه تصور أية ظاهرة من الظواهر موضوع البحث ، وسبق أن أشار علماء كثيرون إلى ضرورة الجمع بين العنصر النفسى وعنصر الطاقة . ومن هؤلاء عالم الفيزياء الروسى كوتيك (١٩٠٨) ، وبعده هانز برجر فى العقدين الثالث والرابع من هذا القرن ، وعالم الجيولوجيا الهولندى ترومب فى عام ١٩٤٩ .

وقد عزمنا نحن الاخصائيين فى هذا المجال أن نلتزم بمصطلح جديد هو السيكوترونيا الذى اقترحه المهندس الفرنسى فرناند كليرك **Fernand Clerc** وهكذا أصبح مصطلح « الباراسيكولوجى » شأنه شأن المسمرية أو ما وراء النفس **Metapsychology** مرحلة من مراحل نشوء السيكوترونيا .

والمهمة الأساسية التى تواجه السيكوترونيا اليوم هى التنسيق بين القوانين التى تحكم عالم الحياة وعالم المادة غير الحية وتكملتها بإضافات جديدة من المعارف التى تيسرها لنا علوم البيولوجيا ، والفيزياء ، وعلم النفس ، وسوف يتم استخلاص هـذه المعارف من الظواهر الخاصة المميزة للنفس الإنسانية .

لقد كانت الباراسيكولوجى تعالج أساساً ظواهر نادرة الوقوع وتحاول على استحياء الإشارة إلى أن هذه الأحداث قد تؤثر فى كل إنسان بدرجة بسيطة . ولكن السيكوترونيا تحاول من خلال منهجها المتداخل والمترابط مع المباحث العلمية المختلفة أن تؤكد أن الظواهر السيكوفيزيائية تؤثر فى ٩٠٪ من البشر . وتنأى السيكوترونيا عن دراسة

المعجزات وبحثها ، ومن ثم فإنها تحدد عن عمد جهود ومعالم تجاربها على نحو يسمح بإعادتها وتكرارها فى أى وقت .

ولن تكون نتائج الاختبارات بالضرورة حسية ، ولكنها ستكشف عن قدر من الثبات. وتحن ندرك اليوم أننا جميعاً نلاحظ ظواهر سيكوترونية (مثل حالات التخاطر التلقائية بين الأم وطفلها فى حياتنا اليومية ، وأنها مرتبطة بالإنسان ، بل بالمادة الحية منذ زمن سحيق)[1] .

* * *

وإزاء هذه الاعتبارات مجتمعة يبدو لنا واضحاً أن موضوع الباراسيكولوجى لا ينبغى تضحيته فى مقابل موضوع السيكوترونات ، لأن موضوع الباراسيكولوجى هو دراسة الظواهر غير المألوفة التى تتجاوز نطاق علم النفس بمفهومه التقليدى ، وهو فى هذا يختلف عن نطاق السيكوترونات الذى ينبغى ألا يتجاوز بحسب وجهة النظر هذه نطاق الظواهر الحيوية المألوفة التى تؤثر فى ٩٠٪ من البشر كما يقول الكاتب .

وإذا كان لابد من مصطلح لبحث يستهدف دراسة هذه الظواهر غير المألوفة بكل أصنافها ، ويكشف فى نفس الوقت عن وجود عنصر الطاقة الذى لايمكن بدونه تصور أية ظاهرة من الظواهر موضوع هذا البحث ، فهو مصطلح « البحث أو العلم الروحى » psychic Science لأن هذه الطاقة — المطلوب الكشف عنها ومحاولة دراسة أبعادها — طاقة روحية بحسب أبعادها ومصدرها ، وهذا ما تنبه إليه الباحثون فى الجزر البريطانية بوجه خاص منذ أوائل روادهم ، وهو الأمر الذى يعلل تمسهكم حتى الآن بهذا المصطلح لدراسة الظواهر فى ذاتها، بالإضافة إلى محاولة تعليها وتأصيلها بالطاقة الخطيرة التى تكمن وراءها .

---

(١) عن « العلم والمجتمع » المرجع السابق ص ٢٣ ، ٢٤ .

وقد حذا حذوهم ولا يزال العدد الأكبر من الباحثين فى خارجها أيضاً ، وأعتقد أنهم بهذا الوصف الواضح البسيط قد لمسوا كبد الحقيقة فى التعبير عن موضوع بحوثهم ثم ما قيمة أى بحث علمى فى الإنسان إذا كان ينأى عن دراسة المعجزات — أى الظواهر الخارقة للمألوف - ويعتقل نفسه من جديد فى قفص من دراسة الظواهر المألوفة ، ولو بأساليب متقدمة نسبياً كما تريد السيكوترونيا أن تفعل ؟ ! . .

ويمكن القول على أية حال إن السيكوترونيا — على هذا المفهوم المحدود أضحت ذات موضوع متميز — إلى حد ما — عن موضوع الباراسيكولوجى أو ما وراء النفس بمقدار ما هو متميز — إلى حد ما — عن موضوع « العلم الروحى الحديث » الذى يتضمن دراسة الظواهر غير المألوفة فى جانبيها الوصفى والتحليلى . بالإضافة إلى ما قد يرتبط بها من علوم إنسانية متنوعة مثل الأخلاق ، والنفس ، والفلسفة الأخلاقية والعامة . . وذلك بالقدر اللازم لمحاولة الوصول إلى تحليل وتأصيل صحيحين .

العلم يواجه ثورة لا نظير لها فى تاريخه

هكذا اتسعت تدريجياً سائر أبحاث وموضوعات الباراسيكولوجى بوجه عام ، وأصبحت متشعبة إلى حد يفوق نطاق تصوراتنا المألوفة لأن الباراسيكولوجى بمفهوم دراسة الظواهر غير المألوفة — قد لا يعد علماً قائماً بذاته ، بل هو أدنى إلى أن يكون منهجاً علمياً لازماً للكشف عن أغوار علوم عديدة ، بل أهم العلوم العصرية كلها .

وقد عبرت عن هذا المعنى مجلة التأثير **Impact** التى تصدر عن « اليونسكو **Unesco** » (وهى الهيئة الثقافية لمنظمة الأمم المتحدة) فى طبعتها العربية التى تصدر باسم « العلم والمجتمع » (عدد يونيو — أغسطس ١٩٧٥) . وذلك فى عدد خاص عنوانه « العلم والظواهر الخارقة » .

وقد ورد فى هذا العدد أن أبحاث الباراسيكولوجى اتسع نطاقها تدريجياً حتى

لقد أصبحت عبارة عن منهج علمى يجمع بين خصائص مناهج البحث فى أربعة عشر علماً معاصراً ، وهى :

١ — الفيزياء .
٢ — تكنيك الاتصال .
٣ — الرياضيات .
٤ — السوبر ناطيقا .
٥ — علم النفس .
٦ — الطب النفسى .
٧ — الطب العـــام .
٨ — فسيولوجيا الأعصاب .
٩ — الفسيولوجيا .
١٠ — علم الحيـــاة .
١١ — الجيولوجيا .
١٢ — الانتروبولوجيا (علم الإنسان) .
١٣ — علم الاجتماع .
١٤ — بيولوجيا الفضاء .

* * *

ولذا أخذ بعض دوائر العلم يستخدم الآن — إلى جانب تعبير « البار اسيكولوجى » تعبيراً أوسع منه بكثير وهو تعبير « السيكوترونيا » **Psycho-tronics** « على أساس أن المهمة الأساسية التى تواجه السيكوترونيا اليوم هى التنسيق بين القوانين التى تحكم عالم الحياة وعالم المادة غير الحية ، وتكملتها بإضافات جديدة من المعارف التى تيسرها لنا البيولوجيا ، والفيزياء ، والنفس . وسوف يتم استخلاص هذه المعارف من الظواهر الخاصة المميزة للنفس الإنسانية »[1] . . وكلمة السيكوترونيا هذه معناها « علم النشاط النووى الروحى » وهو مرتبط بعلم النشاط النووى العام[2] .

وبطبيعة الحال فإن هذه « الظواهر الخاصة المميزة للنفس الإنسانية » لها وثيق اتصال بالفطرة الإنسانية بوجه عام ، وبالفطرة كما يجب أن يعنى بها العلماء بوجه خاص

---

(١) عن « العلم والمجتمع » العدد المشار إليه آنفا ص ٢٤ من المجلة .

(٢) ولذا تستخدم فيه معطيات الفيزياء على أوسع نطاق ومعها معادلات الرياضة الحديثة .

وذلك طبقاً للرأى الذى يبدو لى أكثر من غيره تطوراً ، وإيضاحاً عن موقف العلـوم الحديثة من موضع الفطرة الإنسانية بين التكوين الروحى والجثمانى .

والموضوع بدون أدنى ريب واسع المسالك ، متشعب النطاق . لأنه متداخل فى نطاق علوم عديدة : ومنها بوجه خاص البيولوجيا، والأنتربولوجيا ، وعلوم النفس ، والإجرام ، ناهيك بالتطور الإنسانى بوصفه فلسفة قائمة بذاتها قبل أن يكون علماً قائماً على معطيات معينة مستمدة من نتائج الحفريات أو من اجتهادات العلماء والدارسين .

ولذا يلزم أن نعرض له فى هذا المؤلف فى إطاره الحديث . وهو وثيق صلة بالتطور السريع الضخم الذى يجرى الآن فى دوائر العلم للانتقال بالعلوم المختلفة من محاور محض مادية شيدت عليها العلوم الطبيعية خصوصاً منذ عهد الثورة الفرنسية (١٧٨٩) إلى محاور محض روحية . وهى تلك المحاور التى تأثرت بحركة التطور العلمى الحافل الذى يجرى الآن بسرعة مذهلة ، وبلغت سرعة التطور ذروتها فى هذا النصف الثانى من القرن العشرين .

ونحن فى الشرق عن هذا التطور غافلون ، بل مشغولون بمشكلاتنا التى لا تحصى ، والتى تشغلنا حتى عن التعرف على موقع المواضع الصحيحة لأقدامنا فى دوامة هـذه الحركة العلمية الهادفة ، البناءة للحياة قبل العلم ، ولمواجهة مشكلات العلم الطبيعى قبل مشكلات السياسة أو الاقتصاد .

كما سنعرض لعدة موضوعات أخرى ينتمى أغلبها إلى العلوم الطبيعية ، وكلها تعتبر بمثابة معالم هامة على طريق الطفرات الضخمة التى أخذت المعارف الإنسانية تطفرها فى هذا القرن فى ضوء منهج الباراسيكولوجى الذى هو منهج علمى أكثر مما هو علم قائم بذاته ، كما سبق القول .

فلم يكن الباراسيكولوجى سوى مصباح قوى أضاء طريق الباحثين عنـدما فتح لهم مناهج جديدة للبحث لم تكن معروفة من قبل . وساعد على فتح هذه المناهج الجديدة التطور التكنولوجى الضخم الذى حققته جهود الباحثين وتضحياتهم الشاقة ،

خصوصاً منذ حوالى قرن ساعد الباراسيكولوجى فيه على تحقيق المزيد من التطور التكنولوجى فى كافة المجالات . وذلك إلى مدى لا يمكن أن يخطر ببالنا بعد أن أحكمنا إغلاق كافة النوافذ والمنافذ ، بلا أى سبب مقبول ولا أى منطق مشروع ، لكن بعبقرية نادرة ، وبإصرار فذ عجيب ! !

وبقدر ما ساعد التطور التكنولوجى على فتح باب الباراسيكولوجى — بمفهوم دراسة الظواهر غير المألوفة وإخضاعها لأساليب البحث والاستقصاء المناسبة لها — بقدر ما قاومنا هذا المنهج الجديد رغم تشعب مناحيه وفضل أياديه .

فمثلا لم تعد أبحاث الباراسيكولوجى مجرد مصدر لإلقاء أضواء جديدة على أغوار النفس الإنسانية ، بل أصبحت مصدراً لإلقاء أضواء جديدة على أغوار الحياة بوجه عام . فحدث تطور خطير فى دراسات علم الحياة « البيولوجيا » التى أصبحت بيولوجيا حية بعد أن كانت فى الماضى القريب بيولوجيا بلا حياة ، على حد وصف فيلسوف من أبرز فلاسفة هذا القرن ، وهو هنرى برجسون H. Bergson ولعله أبرزهم إطلاقاً ، وكان من أوائل المنادين بضرورة العناية بدراسة هذه الظواهر غير المألوفة دراسة علمية شاملة ومتكاملة .

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التطور الضخم فى البيولوجيا ظهور علم جديد يطلق عليه علم « ما وراء البيولوجيا » Meta-biology لكى يغطى بدوره دراسة هـذه الظواهر بوصفها تقع « وراء الحياة » كما تقع ظواهر الباراسيكولوجى « وراء النفس ».

وقد أدى هذا التطور بدوره إلى ظهور علم جديد يطلق عليه ما يلى الفيزياء Para-Physics لكى يغطى دراسة نفس هذه الظواهر غير المألوفة بوصفها ظواهر تلى الفيزياء المادية أو العضوية ، وتلقى أضواء جديدة عليها بالغة الأهميـة بالنسبة لها[1] .

---

(١) وهو غير علم « ما وراء الطبيعة » الذى وضع اسسه فيلسوف الأغريق أرسطو . وهو علم محض نظرى مؤسس على افتراضات فلسفية خالصة . أما « ما يلى الفيزياء » Para-Physics فهو علم وضعى تجريبى مؤسس على معطيات الفيزياء المعاصرة الخاصة بالأثير ، والإهتزاز Vibration والذرة وما دون الذرة ، والهيولى المحايدة ، وغيرها من مباحث الفيزياء الحديثة .

ومن هنا أيضاً قفزت الفلسفة الطبيعية قفزات سريعة للأمام وكان ذلك بفضل تغلغل المنهج الرياضى إلى أبعد مدى فى كل مناحى الفيزياء ، خصوصاً فى فيزياء الأثير ، والذرة وما دون الذرة ، والهيولى المحايدة وغيرها .

وبعد ذلك مباشرة تغلغل المنهج الرياضى ، أو بالأدق الفيزيائى — الرياضى فى أبحاث الباراسيكولوجى ، فقفز الباراسيكولوجى خطوة أخرى جديدة ، لا بل عدة خطوات للأمام - فى أقل من نصف قرن — فظهر منهج متطور جديد مركب من هذه المناهج كلها مجتمعة معاً .

* * *

وهذا المنهج الجديد — يجمع بين فيزياء الذرة . والرياضة ، والفلسفة الطبيعية ، والباراسيكولوجى مجتمعة كلها معاً فى إطار علم واحد جديد يسمى السيكوترونيا **Psycho-tronics** أى « علم النشاط النووى الروحى » . وهذا الأخير — يلقى الآن اهتماما خاصاً فى العديد من الجامعات الأجنبية ، وفى مراكز البحث العلمى فى هذه الظواهر غير المألوفة .

والهدف الأساسى من « السيكوترونا » هو محاولة تحقيق الترابط المنشود بين كافة العلوم الطبيعية والإنسانية . وهذا الترابط شرط لا غنى عنه للوصول إلى بعض حقائق الوجود المنظور وغير المنظور وارتياد مجاهلها الوعرة ، الرحبة ، الهامة ، المتشعبة . وهى مجاهل حافلة بالأسرار التى يريد التطور العلمى أن يكشف النقاب عنها تدريجياً الواحد بعد الآخر ، مهما بعدت الشقة وعظمت المشقة ! !

وهذه المناهج المستحدثة فى بحوث الظواهر غير المألوفة سادت على البحوث التى تجريها الهيئات العلمية الجادة ، وهى الآن منتشرة فى أرجاء عديدة من العالم فى الغرب والشرق .

ومنها مثلا « جمعية البحث الروحى » بلندن **Society for Psychical Research** التى أسستها منذ سنة ١٨٨٢ صفوة من أساتذة جامعة كامبريدج — ومن علماء كبار آخرين — خصيصاً لتمحيص هذه الظواهر بأساليب متطورة . وهى لا تزال تواصل

نشاطها حتى الآن ، ويرأسها الدكتور أيان ستفنسون Ian Stevenson العالم الأمريكى المعروف ، يعاونه سبعة نواب للرئيس[١] .

وقد منحتنى هذه الجمعية شرف عضويتها بجلسة ٢٢ فبراير سنة ١٩٧٣ ، ولـذا تصلنى بانتظام جريدتها ومضابطها. وألمس فيها مدى الجدية فى بحوثها، مع تأصل الروح العلمية التى تهيمن على نشاطها الدؤوب . ولم أصادف فى مطبوعاتها حرفاً واحد يخدش حياء أى علم أو أى اعتقاد .

بل إن نتائج بحوثها تخدم — بدون أدنى ريب — تطور جميع العلوم الطبيعية والإنسانية من اتجاه المادية والإلحاد إلى اتجاه الفلسفة الروحية عن الوجود . بما يلائم تماماً جوهر الأديان السماوية عن خلود النفس ، وعن كنه النواميس الأخلاقية التى تسود الكون، والتى يلزم أن تسود أيضاً تنظيم الروابط بين بنى البشر على قواعد راسخة من الحب ، ومن الاحترام المتبادل ، ومن الإخاء الإنسانى العام .

ويتكبد جميع الباحثين فيها جهوداً مضنية بالغة الدقة فى سبيل تأصيل الظواهر غير المألوفة وتحليلها ، باتباع المنهج الرياضى — الفيزيائى ، بكل ما يقتضيه من حذر شديد ، ودراية واسعة ، ومشقة بالغة .

وهذه المشقة تهون كثيرا متى وضعنا فى الاعتبار أن موضوع هذه الجهود هو تحديد صلة الإنسان بنفسه ، وبالكون الذى يعيش فيه ، وصلة الإنسان بالكون هى أساس علم المنطق ، وبدون منطق صحيح من المحال أن تقوم دعائم أى علم صحيح ، بل أية معرفة أمينة .

وكان من المحال أن تسير المعارف الإنسانية كلها فى هذا الاتجاه الجديد إذا كانت ظواهر الباراسيكولوجى — وكلها خطيرة فى دلالاتها الحتمية — محض سراب أو خداع حواس ، كما قد يتصور خطأ صاحب النظرة المتعجلة للأمور .

---

(١) وعنوانها كالآتى :
Adam & Eve Mews W 264 Q London. Tel. : 61 - 937 - 8984.

بل إن هذه الظواهر كلها قد تجاوزت مرحلة الشك فيها ، أو النقاش المشروع فى مدى صحتها أو فى عمق دلالاتها ، إلى مرحلة ابتناء نتائجها المحتومة ، وهى مفرطة فى أهميتها ، وفى وثيق صلتها بكل المعارف الإنسانية على ما وضحته آنفاً .

ماذا تقول النشرة الدولية لمؤسسة اليونسكو ؟

هذا وسوف أتناول فى أكثر من موضع التطور الجذرى الذى تمر به دراسات علم النفس الحديث على أيدى « علماء نفس الأعماق » بحسب الوصف الذى أسبغته عليهم مجلة « العلم والمجتمع » التى تصدر عن منظمة اليونسكو ، وهى الهيئة الثقافية التابعة للأمم المتحدة (عدد يونيو / أغسطس ١٩٧٥) .

وهذه المجلة هى الطبعة العربية لمجلة التأثير **Impact** الدولية العلمية المتشددة ، وقد أصدرت منذ سنة ١٩٧٥ عدداً خاصاً عن « العلم والظواهر الخارقة » يتضمن آراء لفيف من أبرز علماء العصر فى مجالات شتى — وموضوعه هو عرض بعض نتائج تحقيقات هذه الظواهر الخارقة للمألوف .

وقد أجمع هذا اللفيف من أبرز العلماء على صحة حدوث هذه الظواهر ، وعلى عمق دلالتها فى الإنباء عن استقلال العقل عن المخ ، وبالتالى عن دوام حياة العقل ، حتى بعد انفصاله بالوفاة عن جهازه العضوى ، وهو المخ ، وذلك بعد تحقيقات متواصلة دقيقة . جرت فيها بمعرفتهم .

* * *

ويقدم المرحوم الأستاذ عبد المنعم الصاوى ، الوزير السابق ، ونقيب الصحافة ، ورئيس تحرير هذه النشرة الدولية الهامة « العلم والمجتمع » هذا العدد التاريخى منها — لأنه يعبر عن عمق التطور الجذرى الذى تمر به جميع المعارف الإنسانية فى العصر الراهن — بكلمات تعد من جوامع الكلم ، وأكثرها تعبيراً عما قد يجيش بخاطر العديد من القراء القلقين الخائفين من استشراء مذاهب المادية والإلحاد ، بقدر خوفهم من استشراء الترهات والأوهام .

وفى هذا التقديم يلاحظ بحق الأستاذ عبد المنعم الصاوى « أن أقسى ما يتعرض له الإنسان شعوره بالاغتراب فى عالمه ، لأن الشعور بالاغتراب يقطع الإنسان عن البيئة والمجتمع ، ويجعله دائماً يحيا فى قلق وتوتر وخوف .

ولقد مر الإنسان بهذا الشعور منذ نشئته على وجه الأرض ، ومنذ بدأ حيـاته فى عالم جديد عليه ، يواجه الطبيعة المتقلبة دون أن يستطيع تفسير تقلباتها ، ويواجه الجبل والنهر والأخدود والغابة ، وهو لا يدرى كيف تنشأ ولا إلى أى هدف تسير . . .

واليوم نجد العلم يتدخل لتفسير الخوارق تفسيراً علمياً . . وفى ضوء هذه الخوارق ، وما فيها من أسرار ، يظل البحث على الدوام عن تفسير لهذه الخوارق ، وحتى يصل الإنسان إلى هذا التفسير ، فإنه يظل يتعرض لحالة الاغتراب هذه التى تهدده بالقلق والخوف والتوتر .

وعندما يتدخل فى التفسير ، فإن ذلك التدخل يعنى أن ينتقل تفسير هذه الخوارق من مرحلة التفسير الوجدانى والعاطفى والفنى ، إلى مرحلة التفسير العلمى المقطوع بموضوعيته .

إن التغلب على هذه الخوارق بالوجدان شىء ممكن والتخلص من غموضها بالأسطورة مخدر يلذ للناس أن يتناولوه ، لكن أن تكون هذه الخوارق ظاهرة ومفسرة تفسيراً علمياً معملياً قائماً على وجه التجريب العلمى ، فذلك هو التحدى الذى يواجه العلماء .

ومع كل التحية لجهود العلم ، ومع كل التمنى للعلماء أن يتهيئوا لمواجهة خوارق من نوع آخر تحيط بالإنسان ، وأقصى ما يستطيعون عمله هو أن يخففوا من وقع الاغتراب على الأجيال ، بإنجازات علمية ، تجعل الناس أكثر ثقة وتثبتاً مما يحيط بحياتهم من خوارق تثير الدهشة فى كثير من الأحيان . . »

* * *

وينبغى دائماً أن نضع فى الاعتبار أننا هنا لسنا بالمرة إزاء موضوع محدود النطاق

من موضوعات أى علم من العلوم ، بل إزاء الإطار العام الذى تصاغ بداخله الآن معطيات جميع العلوم الطبيعية والإنسانية صياغة جديدة مغايرة تماماً لصياغة الماضى القريب أو البعيد . وهذه الصياغة الجديدة تمثل — فى عبارة واحدة — الفارق الضخم بين العلم والأوهام ، أو بين الروح والمادة ، أو بين الإيمان والإلحاد ، أو بين السير فى ضوء الواقع والتخبط فى دياجير الظلام .

عن مدى انتشار البحوث الروحية

فالظواهر غير المألوفة متشعبة جداً وخطيرة تماماً . والنتائج المترتبة عليها — فى نطاق جميع المعارف الإنسانية — أكثر منها تشعباً ، وأوفر منها خطورة، وأجدر منها باستّرعاء انتباه صفوة العلماء ، والفلاسفة ، والدارسين .

وهى فى مدى خطورتها وتشعبها لا تتوقف على حكمنا عليها ، مهما أحكمنا غلق النوافذ والمنافذ ، حتى نستريح تماماً فى سبات عميق ، هيهات منه أن نصحو ما دامت الصحوة تقتضينا بعض الجهد والعناء ، أو بعض البحث والتنقيب ، أو بعض التأمل فى عظمة الكون ، وعظمة مبدع الحياة والخلود ، وبارىء العقل والوجود . . .

ولكى تدرك — أيها القارىء العزيز — مدى انتشار بحوث الظواهر غير المألوفة — وما يرتبط بها من أمور — يكفى أن تعلم أن كتيباً صغيراً عنوانه « المرشد لدراسة البحث الروحى »[1] لمؤلفه روبرت أشبى **Robert Ashby** يذكر الأرقام الآتية عن عدد المراجع العلمية الموجودة فى بعض المكتبات العامة لمن يرغب فى الرجوع إليها من الدارسين والباحثين ، وهذه الأرقام هى (حتى سنة صدور هدا المرشد فى سنة ١٩٧٢) :

أولا : فى لندن :

— مكتبة « كلية الدراسات الروحية » ١١,٠٠٠ مجلد .

— مكتبة « جامعة لندن » (مجموعة البحث الروحى) ١٠,٠٠٠ مجلد .

---

(١) The Guide Book for the Study of Psychical Research. Rider 1972.

— مكتبة « الجمعية الثيو صوفية » ١٣,٠٠٠ مجلد .

— مكتبة « الجمعية الروحية لبريطانيا العظمى » ٤,٠٠٠ مجلد .

وفى كتاب آخر عنوانه من « الجلسة الروحية إلى العلم »[١] نجد المؤلف يورد البيانات الآتية عن عدد المراجع الموجودة فى طائفة أخرى من المكتبات العامة غير هذه وهى :

— مكتبة « جمعية البحث الروحى » بلندن ١٠,٠٠٠ مجلد .

— « مكتبة مبنى السناتو » بلندن ١٥,٠٠٠ مجلد (مجموعة هارى برايس) .

— مكتبة إيما هاردنج بريتين **Emma H. Britten** التذكارية ٧,٠٠٠ مجلد .

— مكتبة كلية آرثر فندلاى **Arthur Findlay** للدراسات الروحية ٣٠,٠٠٠ مجلد .

ثانياً : فى نيويورك :

— مكتبة « الجمعية الأمريكية للبحث الروحى » ٦,٠٠٠ مجلد .

— مكتبة « مؤسسة الباراسيكولوجى » ٧,٥٠٠ مجلد .

— مكتبة « هيئة الإخاء للحدود الروحية » ٥,٠٠٠ مجلد

عن وضعنا المخزن فى الشرق الأوسط

ولا ريب أن هذه الأرقام فى تزايد مستمر ولا ريب أنها موجودة الآن بوفرة شديدة فى المئات من الجامعات والمعاهد ومراكز البحث المنتشرة الآن فى الغرب والشرق الأقصى .

---

(١) George Meek . From Seance to Science, (London 1973)

أما فى شرقنا الأوسط فإن الجهد المبذول فى هذا الميدان ما يزال قليلا . وما يزال الحصار على البحث الروحى عاتياً قوياً بلا منطق واضح ولا سبب مفهوم . خصوصاً بعد أن قدمت صفوة رجال الدين فتاوى حاسمة واضحة فى انتفاء أى حظر فى هذا الميدان الذى هو ميداننا الأصيل كشرقيين منذ فجر التاريخ ، وقد ناقشت هذا الموضوع تفصيلا فى « مفصل الإنسان روح لا جسد » بأسانيد صريحة حاسمة من فتاوى هـذه الصفوة من كبار العلماء والفقهاء[١] .

ومن أولئك العلماء الأجلاء أذكر هنا :

— الشيخ الطنطاوى الجوهرى صاحب تفسير « الجواهر » المعروف (فى خمسة وعشرين جزءاً) وله كتاب عنوانه « الأرواح »[٢] .

— العلامة محمد فريد وجدى صاحب الموسوعة العلمية الجليلة التى عنوانها « من القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين » وله أيضاً كتاب « الروح »[٣] .

— الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية وصاحب كتاب « الروح وآثارها الكونية » .

— الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر[٤] .

— الأستاذ محمد أبو زهرة وكيل كلية حقوق القاهرة .

— الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

— الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية .

— الشيخ أحمد حسن الباقورى الوزير السابق ؛ ورئيس جامعة الأزهر[٥] .

---

(١) راجع منه بوجه خاص طبعة ٤ جـ ١ ص ٤٩٧ — ٥١٢ ، جـ٣ ص ٥٨ — ٩٢ .

(٢) راجع عنه كتاب « الشيخ الطنطاوى الجوهرى : سيرة ونصوص » بقلم الدكتور عبد العزيز جادو .

(٣) وهذا الأخير بمقدمة من الدكتور على عبد الجليل راضى .

(٤) راجع مقدمته لكتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل .

(٥) راجع له كتابه « عالم الأرواح » القاهرة ١٩٨٥ .

— الشيخ محمد زكريا البرديسى رئيس قسم الشريعة الإسلامية بجامعة عين شمس .

— الشيخ عبداللطيف السبكى من هيئة كبار العلماء .

— الدكتور على عبد الجليل راضى الأستاذ بكلية العلوم بجامعة عين شمس[١] .

— الدكتور أحمد رياض رئيس « الأكاديمية المصرية للعلوم » و « المجمع المصرى للثقافة العلمية »[٢] .

— الأستاذ الدكتور عبد العزيز جادو ، وهو صاحب مؤلفات قيمة عديدة فى هذه الموضوعات .

— الأستاذ المحترم محمد شاهين حمزة صاحب ورئيس تحرير مجلة «الرابطةالاسلامية» الغراء[٣] .

* * *

ولم يقل أى واحد من هؤلاء الأعلام إن ثمة نهيا من أى نوع كان عن البحث فى قضايا الروح وعصى مشكلاتها . . . فلماذا إذن يحاول البعض — من غير المطلعين — حصار هذا النوع من البحث العلمى النافع ، الذى يدعم الاعتقاد ويسانده ؟ ! .

فكأننا بلا منطق واضح — ولا فائدة مرجوة — نحاول حصار التطور العلمى بعد ن غير مسيرته من الإلحاد إلى الإيمان ، ومن المكابرة فى خلود النفس إلى الإذعان . وهذا كله بالإضافة إلى تحدى نواميس الروح التى تبحث دواماً عن المعرفة الحقـة ، وعن صلتها بالله تعالى ، وبالكون الذى فيه تحيا ، وإليه تنتمى ، وبه تئن وتصرخ أو تضحك وتفرح ! ! .

وعن طريق هذه اللهفة إلى المعرفة الحقة يصل الإنسان إلى أعماق نفسه . أى أنه —

---

(١) وله عدة مؤلفات قيمة فى هذه الموضوعات آخرها « أنت تحيا بعد الموت » القاهرة ١٩٨٤ .
(٢) وله كتاب قيم عن « الحياة فى عوالم الأرواح » .
(٣) راجع له كتاب « الروحية الحديثة دعوة للإيمان » وهو حافل بالأسانيد الدينية الحاسمة .

بحسب عبارة كارل يونج Carl jung[1] « يصل إلى ذاته المختفية بداخله ، إلى باطنه السامى النبيل ، النابع عن الله ، المكون من جوهر روحى نقى ومتجرد ، فهناك تقع مملكة الله ، وهناك يقيم الله ويعمل » .

فالعمق المقدس للروح يمثل عنصراً من الطبيعة يعيش فى تناسق معها ، واندماج فيها . . . ولذا فهو يقول أيضاً فى كتابه عن « حياتى » : إننا فحسب عندما يرتبط وجودنا باللانهائى بفضل النافذة المفتوحة على الأبدية — وهى نافذة النفس المستورة Subluminal يصبح لهذا الوجود مغزى .

وعلى هذه المعانى — معانى البحث عن حقيقة « الجوهر الذى فينا ، والذى يصلنا باللانهائى حيث يقيم الله ويعمل » تدور الآن محاور فلسفة روحية باذخة هيهات أن تقارن بها أية فلسفة للشك والإنكار ، وبالتالى للضياع والانهيار من فلسفات الماضى القريب أو البعيد .

ولماذا يتجاهل هذا البعض تلك الحقيقة الكبرى وهى أن كل موضوعات الروح والخلود ، وحياة البرزخ أو ما وراء المادة ، والصلات بين الراحلين والأحياء كانت هى الشغل الشاغل لاجتهادات أعظم فلاسفة العرب بلا استثناء ؟ ! وذلك من مستوى ابن رشد ، وابن سيناء ، وأبو يعقوب الكندى ، والغزالى ، وابن باجة ، وابن طفيل وابن القيم ، واخوان الصفاء وغيرهم . فقد تغلغلوا جميعهم إلى أعمق أبعاد ظواهر الروح الإنسانية بكل ما تثيره من مباحث شاقة عن نشأتها ، وتطورها ، وعوامل سلوكها ، وسعادتها وشقائها وذلك بأساليب عصرهم ، وفى حدود معارفهم فى ذلك الوقت .

ولم يقل أى واحد منهم إن ثمة نهيا أياً كان مصدره يحول دون الخوض والإفاضة فيها . ولم يكن منهج الفلسفة الوضعية قد ظهر بعد ، ولو كان قد ظهر لما ترددوا لحظة واحدة فى الاعتماد عليه واتباع سبيله شأن الفلاسفة الجادين فى كل أرجاء العالم وفى كل عصور التاريخ .

---

(١) وهو أبرز اسم فى علم النفس الحديث منذ رحيل سيجموند فرويد . وقد ولد يونج فى سنة ١٨٧٥ وتوفى فى سنة ١٩٦١ .